

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

قراءة ما بعد كولونيالية في كتاب استعمار الجزائر لبروسبير أنفانتان

**The Saint-Simonian Ideology of Modernization and its
Impact on Colonial Policies in Algeria
A Postcolonial Reading of Colonization of Algeria by
Prosper Enfantin**

نادية الرياحي

جامعة تونس / الجمهورية التونسية

Riahinadia2020@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2025/01/31	2025/01/13	2024/12/26

الملخص:

تتناول هذه الدراسة دور أتباع الفيلسوف الاجتماعي سان سيمون في صياغة الخطابات والسياسات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، من خلال تحليل تأثير إيديولوجية التحديث السان سيمونية على التنظير لفكرة الاستعمار الاستيطاني بأبعاده الاقتصادية الرأسمالية، والتي تتعلق بتغيير نظام الملكية والاستحواذ على ثروات الجزائر. في هذا السياق، تعد مؤلفات بروسبير أنفانتان، خليفة سان سيمون، محورا رئيسيا في بلورة هذه السياسات الاستعمارية. تعتمد الدراسة على منهج تحليل الخطاب والنقد ما بعد الكولونيالي لفهم الديناميكيات المعقدة التي تحكم العلاقات الاستعمارية وكشف الآليات التي استخدمت لتبرير التمييز العرقي والطبقي المتأصل في المشروع الاستعماري وذلك في كتاب استعمار الجزائر. كما تستكشف الدراسة الإشكاليات الجوهرية المتعلقة بعلاقة الأنا بالآخر، والشرق بالغرب، والهامش بالمركز، والمستعمر بالمستعمر، بهدف تقديم فهم أعمق لكيفية تأثير هذه العلاقات على تشكيل السياسات الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: سان سيمون ؛ السان سيمونية ؛ الجزائر ؛ كتاب استعمار الجزائر ؛ بروسبير أنفانتان.

Abstract:

This study examines the role of the disciples of the social philosopher Saint-Simon in shaping French colonial discourses and policies in Algeria. It analyzes the impact of Saint-Simonian modernization ideology on the theorization of settler colonialism with its capitalist economic dimensions, which involve altering the property system and seizing Algeria's wealth. In this context, the works of Prosper Enfantin, Saint-Simon's successor, are considered pivotal in shaping these colonial policies. The study employs discourse analysis and post-colonial critique methodologies to understand the complex dynamics governing colonial relations and to uncover the mechanisms used to justify the inherent racial and class discrimination in the colonial project, as reflected in "Colonization of Algeria." Additionally, the study explores fundamental issues related to the relationship between the self and the other, the East and the West, the margin and the center, and the colonized and the colonizer, aiming to provide a deeper understanding of how these relationships influenced the formation of colonial policies.

Key words: Saint-Simon Algeria; Colonization of Algeria; Prosper Enfantin.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة دور أتباع المفكر الاجتماعي سان سيمون في تشكيل السياسات الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، وخاصة في التنظير لفكرة الاستعمار الاستيطاني في أبعاده الاقتصادية الرأسمالية المتصلة بتغيير نظام الملكية والاستحواذ على ثروات الجزائر ومقدراتها. في هذا السياق، تعدّ مؤلفات بروسبير أنفانتان¹، خليفة سان سيمون، محورا رئيسيا في بلورة هذه السياسات الاستعمارية، وذلك خاصة في كتابه **استعمار الجزائر**. تساهم هذه الدراسة في فهم السياقات التاريخية والاجتماعية التي ساعدت في تعزيز الفكر الاستعماري الفرنسي للجزائر، وتسليط الضوء على العلاقة بين النظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسات الاستعمارية في طرح أتباع سان سيمون.

بعد فشل السان سيمونيين في إقناع محمد علي باشا بشق قناة السويس، التي اعتبروها محور عملهم في مصر وهدف وجودهم في الشرق، انتقلوا إلى الجزائر التي كانت قد استعمرت حديثا من قبل فرنسا². في الجزائر طَبَّقَ السان سيمونيون أفكارهم ومعارفهم، ورأوا في البلاد ورشة عمل كبيرة تمكّنهم من دعم المشاريع ذات الطابع الرأسمالي والمشاركة في بناء النظام الاستعماري³. ولكن هذه المشاريع لم تر النور إلا بعد نجاح الغزو العسكري في توطين أركانه والاستيلاء على أراضي الوقف ومصادرة ممتلكات الجزائريين. وبذلك، أصبح العديد من السان سيمونيين، الذين كانوا يتطلّعون إلى فكرة الإنسانية العالمية وتحقيق العدالة الاجتماعية، من أبرز المدافعين عن الاستعمار هناك. وقد تمّ كل ذلك تحت مظلة "المهمة الحضارية" التي رفعت فرنسا شعارها، في كل مشاريعها الاستعمارية منذ الحملة الفرنسية على مصر وصولا إلى استعمار الجزائر⁴.

في الواقع، يعود قطع المدرسة السان سيمونية مع المبادئ الإنسانية والوحدوية والانخراط في المشاريع الصناعية الرأسمالية الكبرى إلى سنة 1832، عندما انقسمت المدرسة السان سيمونية إلى شقين: الشق الاشتراكي الطوباوي بقيادة أرمان بازار، الذي ظلّ مخلصا للأهداف الاجتماعية للمدرسة، والشق التكنوقراطي الليبرالي بقيادة بروسير أنفانتان وميشال شوفالييه، اللذين دعما الرأسمالية. بهذا، أصبحت اليوتوبيا التكنولوجية والاقتصادية تحتلّ الصدارة في المدرسة السان سيمونية، متجاوزة اليوتوبيا الاجتماعية والفلسفية التي كانت تسعى إلى تحقيق فكرة الوحدة الكونية⁵.

فرض كل من بروسير أنفانتان وميشال شوفالييه⁶ تغييرا جوهريا في توجّه المدرسة السان سيمونية من الدعوة إلى الاشتراكية نحو الانخراط في المشاريع الرأسمالية الكبرى من حيث التخطيط والتمويل والتنفيذ. جاء هذا التحوّل عندما حلت المصالح الاقتصادية الرأسمالية، التي تهدف إلى تحقيق أقصى قدر من الأرباح، محلّ الأفكار الاشتراكية التي كانت تسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية⁷. وقد استفادوا من خبراتهم في التنظيم والإعداد كمهندسين

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

أو مصرفيين⁸، بالإضافة إلى التنظير والتخطيط الذي اكتسبوه خلال تجربتهم الروحية في مونليمونتان⁹.

تجلى هذا التحول الجذري في مواقف أتباع سان سيمون من خلال انخراطهم في تبرير الاستعمار خاصة خلال تجربة الجزائر، فبعد أن كانوا من أبرز منظري الوحدة العالمية ومشاريع السلام والمساواة بين الأجناس والأعراق، تحول عدد كبير منهم، عقب فشل مهمات التبشير بالمذهب السان سيموني والابتعاد عن النزعة الاشتراكية منذ نهاية سنة 1832، نحو الرأسمالية التي شهدت ذروتها آنذاك.

تهدف هذه الدراسة عامة إلى استكشاف انحرافات الفكر السان سيموني في الجزائر عن مبادئه النظرية المتصلة بتحقيق الوحدة العالمية والعدالة الاجتماعية نحو دعم الاستعمار والامبريالية والرأسمالية. ومن ثمّ تدور إشكالية الدراسة حول المناقشات الراهنة حول تحول وجهة المدرسة وتنكرها لأهدافها الإنسانية، مثل حلم الوحدة بين الشرق والغرب وتحقيق العدالة في المجتمعات الحديثة، وخاصة بعد انخراطها في تجربة الاستعمار في الجزائر. كما تبحث في أسباب هذا التحول الذي طال معظم أتباع المدرسة، واتجاههم نحو دعم المشاريع الرأسمالية القائمة على نهب ثروات الشعوب واقتسام خيرات الكون، ولاسيما في توجيه السياسات الفرنسية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر.

تركز هذه الدراسة خاصة على أدوار الأب بروسير أنفانتان الذي يعتبر من الشخصيات البارزة في التنظير للاستعمار الفرنسي وفي تشكيل السياسات والإيديولوجيات الاستعمارية، والذي كان عضوا نشطا في اللجنة العلمية لاستكشاف الجزائر، والذي قام بوضع المخططات وتأليف الكتب وإعداد التقارير وأسهم في المشاريع المتعلقة باستغلال الأراضي الجزائرية، وقد جمع أفكاره في كتابه "استعمار الجزائر".

فما هو دور سان سيمونيين في دعم الاستعمار الاستيطاني، وكيف ساهم بروسبير أنفانتان في التنظير للتوسع الاستعماري وتعزيزه في الجزائر من خلال نظام الملكية الذي اقترحه في كتابه **استعمار الجزائر**؟

تعتمد الدراسة على منهجية تحليل الخطاب الاستعماري من خلال كتاب **استعمار الجزائر**، مستندة إلى نظرية ما بعد الكولونيالية التي تستكشف مجموعة من الإشكاليات الجوهرية المتعلقة بعلاقة الأنا بالآخر، والشرق بالغرب، والهامش بالمركز، والمستعمر بالمستعمر. يهدف هذا التحليل إلى كشف النقاب عن الخطاب الاستعماري وتفكيك مقولاته المركزية التي تعكس التمييز العرقي والطبقي من خلال تفكيك نظام الملكية الذي اقترحه أنفانتان وتحليل أبعاده المختلفة.

01- دور أتباع سان سيمون في تعزيز المشاريع الاستعمارية بالجزائر:

يرى سان سيمونيون في الشرق مجالا مثاليا لتطبيق فكرة الوحدة الإنسانية وإطارا مناسباً لإنجاز المشاريع الصناعية الكبرى التي حلموا بها، هم وأستاذهم¹⁰. ففي الفلسفة سان سيمونية، تمثل ثنائية الشرق والغرب رمزية المادة والروح، حيث يُعتبر توحيدهما تجسيدا لتكامل هذين العنصرين المادة والروح والعلم والصناعة¹¹. اعتقد الأب بروسبير أنفانتان، الذي تولّى رئاسة المدرسة منذ سنة 1825، أنّ الشرق سيمنح الغرب البعد الروحي، بينما سيؤمن الغرب الجانب التقني والعلمي. وبهذا، فإنّ اتحاد الروح والمادة، والنظرية والتطبيق، يهدفان إلى تحقيق الوحدة الإنسانية وإحلال السلام.

كما تفرض فكرة التقدم، التي تركز عليها الفلسفة سان سيمونية، قانون الانسجام بين علمي المادة والروح، أي بين الشرق والغرب. لذلك، كان أتباع المدرسة يعتقدون أن المصالحة الروحية بين هذين العالمين ستؤدي إلى تغيير الحياة المادية في الكون نحو الوحدة

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

والسلام والتقدم¹². وفي هذا الصدد يقول أنفانتان: "... أي مشهد ستصنعه الإنسانية على ضفاف المتوسط عندما يتحقق التواصل السلمي بين أوروبا وإفريقيا وآسيا بدلا عن الصراع وسفك الدماء... سيكون مشهد اكتمال الوحدة الإنسانية رائعا..."¹³.

كان للأتباع اهتمام مزدوج بالشرق، حيث سعوا من جهة لتطبيق الفلسفة الصناعية بأبعادها العالمية، ومن جهة أخرى، اعتُبر الشرق قيمة رمزية في الفكر السان سيموني ورمزا لـ "نداء المرأة". بينما يمثل الغرب العالم الذكوري، حيث يجمع بينهما البحر الأبيض المتوسط. وقد أشار ميشال شوفالييه إلى هذه الفكرة في صحيفة الجلوب Le Globe، الصحيفة الناطقة بلسان السان سيمونيين حين قال: "... سيصبح المتوسط محور شبكة من الاتصالات بين الشعوب... وسيكون بمثابة فراش يجمع الشرق والغرب".¹⁴ ومن ثمّ بدأ بروسبير أنفانتان بتوجيه دعوة إلى أتباعه المخلصين للتوجه نحو الشرق بهدف توحيد نصفي العالم الغربي والشرقي عبر شق قناة السويس. سعى الأتباع لتحقيق حلم أنفانتان، وكان الكاتب إميل بارو Emile Barrault الأكثر حماسا لهذا المشروع، خاصة أنّه سبق له أن تناول الدور الذي يمكن أن يلعبه السان سيمونيون في تحقيق المصالحة بين الشرق والغرب، قائلا: "... علينا اليوم العمل على توحيد الشرق والغرب هذا الثنائي القديم المتكوّن من المادة والروح..."¹⁵. هكذا إذن توجه السان سيمونيون إلى مصر وانخرطوا في تجربة محمد علي باشا التحديثية ولكن مغامرتهم لم تستمر طويلا بعد فشلهم في إقناع والي مصر بشقّ قناة السويس التي اعتبروها جوهر عملهم في الشرق وحلقة الوصل بينه وبين الغرب لذلك انتقلوا إلى الجزائر التي كانت قد استعمرت سنة 1830¹⁶.

ترتبط معرفة السان سيمونيين بالجزائر بتجارب مبكرة سابقة على الاحتلال الفرنسي سنة 1830، من خلال الأب بروسبير أنفانتان، الذي تولى قيادة التنظيم بعد وفاة سان سيمون. في رحلات شبابه، قام أنفانتان بزيارة الجزائر بين سنوات 1816 و 1821. وقد

أشار في رسالة بعث بها إلى وزير الحرية الفرنسي في سنة 1843 إلى معرفته العميقة بالجزائر، قائلاً: "لقد زرت الجزائر وقطنت بها خمس سنوات في شبابي"¹⁷. ومع ذلك، لم يتجلى اهتمام السان سيمونين بالجزائر إلا بعد فشل مشروعهم في مصر، مما دفعهم للبحث عن فرص جديدة لتحقيق أفكارهم في هذا البلد¹⁸.

بعد احتلال الجزائر سنة 1830، بدأت الإدارة الفرنسية في التفكير في أفضل السبل لترسيخ دعائم الاستعمار، وذلك من خلال تشجيع الهجرة الاستيطانية لبناء قاعدة ديموغرافية¹⁹. وكانت البرجوازية الفرنسية ترى أنّ احتلال الجزائر سيوفر لها أرباحاً طائلة، إذ يمكن أن تصبح سوقاً لبضائعها ومورداً مهماً للمواد الأولية، مما يساعدها على تعزيز اقتصادها وتصدير منتجاتها التي تكدست بعد الثورة الصناعية²⁰.

وجدت هذه الأفكار صدى في كتابات السان سيمونين خلال تلك الفترة، حيث أشار الجنرال السان سيموني توماس روبر بيقو إلى أنّ الجزائر يجب أن تكون "ولاًطول مدة ممكنة، سوقاً لرواج المنتجات الصناعية الفرنسية، كما أنّها قادرة على تزويدنا بكميات هائلة من المواد الأولية، وخاصة المواد الطاقية اللازمة لدفع عجلة التصنيع"²¹.. بهذا، شكّلت رؤية السان سيمونين عن الجزائر نقطة انطلاق جديدة لتعزيز استراتيجيات الاستعمار الفرنسي.

كان الجراح أوغست ورنيه والجنرال ليون دو لامورسيار من أوائل السان سيمونين الذين التحقوا بالجزائر بعد احتلالها مباشرة سنة 1830. وقد كان هؤلاء يتلقون من ميشال شوفالبيه بعض الأعداد من صحيفة الجلوب. ثم وصل إلى الجزائر مجموعة من الشخصيات البارزة، بما في ذلك الصحفي ألكسندر ماسول Alexandre Massol وعازف البيانو دومينيك روجيه Dominique Rogé والصحفي موز ريتوريه Moise Retouret

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

والقانوني إدموند كومب Edmond Combes وكاتب العدل ومستشار الأعمال بابتيست ديتار Baptiste Dutard²².

وابتداء من سنة 1833، تولى عدد من أتباع سان سيمون عدة مناصب في الجزائر، وخاصة في المكاتب العربية التي أنشأها نابليون الثالث، مما أتاح لهم الانخراط في مجموعة من المشاريع الرأسمالية الكبرى. وبذلك، أصبحت مساهماتهم جزءا من الجهود الأوسع لتعزيز الاستعمار الفرنسي وتطوير الاقتصاد الكولونيالي²³.

بعد القطع مع النزعة الاشتراكية، انخرط معظم السان سيمونيين في الجزائر في المشاريع الصناعية والاستثمارات، خاصة بعد فشل مهماتهم في التبشير بالمذهب²⁴. وقد اعتبر لوي أوغست بلانكي Louis Auguste Blanqui، السياسي الفرنسي والجمهوري الاشتراكي المعارض، أنّ السان سيمونيين أصبحوا من أبرز دعاة دعم رؤوس الأموال بعد ابتعادهم عن الأفكار الاشتراكية، حيث أولوا أهمية كبيرة للاقتصاد²⁵. بهذا، يظهر التحول الفكري لدى السان سيمونيين من التركيز على العدالة الاجتماعية إلى الانخراط في المجالات الاقتصادية والرأسمالية، مما يعكس التغيرات الجذرية في إستراتيجياتهم وأهدافهم.

انخرط بعض السان سيمونيين في الجيش الفرنسي، وقادوا عدة معارك ضد المقاومة الجزائرية²⁶. من بين هؤلاء القادة العسكريين كان ليون دو لامورسيار Léon de Lamoricière، الذي عين حاكما على منطقة الغرب الجزائري. حاول لامورسيار، كفيلسوف سان سيموني، الدفاع عن فكرة ربط الجزائر بفرنسا والشرق بالغرب، مُبررا الاستعمار، من خلال اعتباره أنّ الحرب ضرورية في البلدان البربرية، لكنها يجب أن تُعتبر وسيلة وليس هدفاً. يقول في هذا الصدد: "... من أجل تحقيق هذا الهدف، لا بدّ من الاستعانة بالمعمرين الأوروبيين، لأننا لا نستطيع أن نثق بالأهالي بشكل كامل. فهؤلاء سيغتنمون أول فرصة للثورة ضدنا... إنّ إخضاع العرب لسلطتنا هو مرحلة انتقالية ضرورية

بين حرب الاحتلال وتأسيس المستوطنات... والشيء الوحيد الذي يجعلنا نأمل في تثبيت أقدامنا في الجزائر هو إسكان البلاد بمعمرين مسيحيين يمارسون الزراعة... ولهذا يجب أن نبذل جميع المساعي لترغيب أكبر عدد ممكن من المعمرين في الحجىء فوراً إلى الجزائر، وتشجيعهم على البقاء فيها من خلال تخصيص الأراضي لهم فور وصولهم.²⁷ ومن ثم بادرت مجموعة من السان سيمونيين بتعزيز الاستيطان الرأسمالي في الجزائر من خلال الاستحواذ على الأراضي. كان من بين هؤلاء رجال الأعمال آريس ديفور، الذي اشترى ضيعتين في منطقة متيجة لابنه أرمان ديفو.²⁸

بالإضافة إلى ذلك، اتجه اهتمام السان سيمونيين نحو تطوير شبكات السكك الحديدية واستغلال مناجم الحديد، فضلاً عن الاستثمار في مشاريع زراعية كبرى، مما جعلهم من أبرز المستثمرين الرأسماليين في البلاد.²⁹ في هذا السياق، تحدث الكاتب إميل بيرير في صحيفة "الوطن" بتاريخ 25 أوت 1833 عن أهمية إنشاء سكك حديدية تربط بين مختلف مدن الجزائر، وتنظيم رحلات بحرية بين موانئ مرسيليا والجزائر. وقد اقترح إنشاء خطوط حديدية تمتد من الجزائر إلى وهران، ومن عنابة إلى قسنطينة، لتسهيل نقل الثروات الطبيعية، وخاصة موارد الطاقة المكتشفة حديثاً، إلى المدن والموانئ الفرنسية.³⁰

ولتحقيق هذه الأهداف، ساهم المهندس بولان تالابو في تأسيس شركة السكك الحديدية الجزائرية والشركة العامة الجزائرية في 31 أوت 1864. كما شارك المهندس السان سيمونيان، جون براكس وبولان تالابو، في تنفيذ مشاريع كبرى للأشغال العامة، مثل إنشاء الموانئ والطرق وشبكات السكك الحديدية. وقد حصلوا على صفقات لتنفيذ العديد من هذه المشاريع، حيث نال بولان تالابو صفقة إنشاء خط الجزائر - البليلة³¹ وفي سنة 1863 حصل على مشروع إنشاء خط الجزائر - وهران. بفضل هذه الأنشطة، استحوذ بولان تالابو على استغلال جميع خطوط السكك الحديدية في الجزائر، وقام في سنة 1865

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

بتهيئة الموانئ الجزائرية لاستقبال السفن الكبرى، بعد أن أسّس الشركة العامة للنقل البحري في نفس السنة تمهيدا لنهب ثروات البلد ونقلها إلى المركز³².

لتجسيد المشروع السان سيموني في الجزائر، اقترح السان سيمونيون أن تحتفظ فرنسا بالجزائر مع توسيع دائرة الاحتلال لتشمل مختلف المناطق، على أن يكون هذا الاحتلال أوروبا ومسيحيا وتحت السيطرة الفرنسية³³.. كان الهدف هو أن تكون الهجرة إلى الجزائر أوروبية، مما يتيح بناء مجتمع استيطاني أوروبي تحت مظلة الاستعمار³⁴.

في هذا الإطار، قدّم السان سيمونيون عدّة مشاريع، مثل إنشاء المدارس والمعاهد، وتطوير شبكات المواصلات والسكك الحديدية، بما في ذلك الخط الاستراتيجي قسنطينة- تلمسان الذي امتد إلى عنابة وربط الجزائر بوهان. بالإضافة إلى ذلك، شملت المشاريع تأسيس مدن فلاحية واستغلال المناجم واستكشاف الصحراء³⁵. كما تم إنشاء الخط البحري مرسيليا-الجزائر، وإعلان مبدأ الموانئ الحرة، وإلغاء الحواجز الجمركية لمراقبة السلع الأجنبية³⁶، فضلاً عن تأسيس الشركات واستغلال الثروات الطبيعية وتهيئة الجسور.

ومع ذلك، كان تنفيذ هذه المشاريع يتطلب الاستيلاء على أكبر عدد ممكن من الممتلكات والأراضي. اعتقد السان سيمونيون أن الأراضي في الجزائر ليست ملكاً لأحد، حيث كانوا يرون أنّ الملكية الخاصة توجد فقط في المدن وأحواضها، بينما لم تكن الأرض خارجها مملوكة لأي كان. حتى الأرض المشاع لم تكن تعتبر مملوكة لشيخ القبائل أو للباي أو الداوي، ولم يكن هناك مفهوم للملكية الجماعية للأرض بالمفهوم المتعارف عليه. هذا الأمر أتاح لسلطة الاحتلال الاستيلاء على الأراضي الزراعية لصالح المشروع الاستعماري الاستيطاني³⁷.

وقد لعب الأب أنفانتان دوراً كبيراً في صياغة السياسات المتعلقة بتوزيع الأراضي الفلاحية بين المستوطنين والسكان الأصليين. تجلّى ذلك من خلال عمله في اللجنة

الاستكشافية في الجزائر، بالإضافة إلى كتابه استعمار الجزائر، حيث تناول فيه قضايا الملكية وأهمية إعادة تنظيم توزيع الأراضي لضمان نجاح المشروع الاستعماري من خلال تطوير نظام جديد للملكية بالجزائر.

02-إسهامات أنفانتان في التنظير لنظام ملكية مستحدث بالجزائر:

على الرغم من أنّ أنفانتان تعرّف على الجزائر في وقت مبكر، إلا أنّ اهتمامه بها ازداد بشكل ملحوظ عندما استقرّ بها سنة 1839 حين تمّ اختياره كعضو في اللجنة العلمية الاستكشافية التي أنشأتها الحكومة الفرنسية³⁸. وقد جاء ذلك بعد نجاح رجل الأعمال السان سيموني آريس ديفور Arlès Dufour في إقناع الحكومة بمنح أنفانتان فرصة "منفى شرقي"، مما أدّى إلى انضمامه للجنة في 18 أوت 1839³⁹.

تعدّدت الأسباب التي دفعت الحكومة الفرنسية لإرسال اللجنة العلمية إلى الجزائر لجمع المعلومات حول الوضع الراهن ومستقبل البلاد. من بين هذه الأسباب، كانت المناقشات الحادة في البرلمان بشأن تخصيص ميزانية لمواصلة الحرب في الجزائر، بالإضافة إلى الحملة التي قادها بعض الجزائريين المنفيين، وخاصة حمدان خوجة، ضدّ تصرفات الإدارة الفرنسية. كما أنّ ضغط الرأي العام الأوروبي على فرنسا كان له دور كبير في حثها على الإعلان عن موقفها الرسمي إزاء احتفاظها بالجزائر أو تخليها عنها⁴⁰.

جدير بالذكر أنّ الحكومة الفرنسية زوّدت اللجنة العلمية بتعليمات محدّدة تتعلق بالنقاط التي ترغب في التعرّف عليها، وطالبتها بإيجاد حلول للمشكلات المهمة التي كانت تواجه الجزائر. كما قدّمت للجنة "برنامج عمل" مفصل يسيرون وفقه. ومن السهل استنتاج أنّ التعليمات والبرامج تشير إلى أنّ الحكومة كانت قد حدّدت مسبقا مصير الجزائر، وأنّ إرسال اللجنة كان مجرد محاولة لتبرير سياساتها الاستعمارية⁴¹.

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

تضمّنت التعليمات التي سلمتها الحكومة إلى اللجنة العلمية الاستكشافية في الجزائر 24 صفحة تحتوي على مجموعة من الأسئلة التي كان يتعيّن على اللجنة الإجابة عليها. من بين هذه الأسئلة: هل يجب على فرنسا الاحتفاظ بالجزائر أم التخلي عنها، وفي كلا الحالتين، ما الفائدة التي تعود على فرنسا؟ وما هي طريقة العمل إذا كان الاحتفاظ هو الحل المقترح، وما الوسائل التي ينبغي على الحكومة استخدامها لتنفيذ هذا الاقتراح؟

كما اقتضت التعليمات أن توضّح اللجنة جميع جوانب الوضع الراهن في الجزائر⁴²، بما في ذلك وصف مفصّل لـ الحالة وطبقات السكان الجزائريين وحالة الأراضي. يُلاحظ أنّ التعليمات تميل إلى دعم الرأي القائل بالاحتفاظ بالجزائر، مما يوحي بأنّ مهمة اللجنة كانت البحث عن وسائل لتعزيز الاحتفاظ بالجزائر استناداً إلى تجارب السنوات السابقة، وليس فقط الإجابة على مسألة ما إذا كان الاحتفاظ جائزاً أو ممكناً⁴³.

وصلت اللجنة إلى الجزائر في 24 ديسمبر 1839، حيث تم تكليف أنفانتان بدراسة المسائل التاريخية والإثنوغرافية، بالإضافة إلى العادات والتقاليد والمؤسسات الجزائرية⁴⁴. قضى أنفانتان 22 شهراً (1839-1841) في استكشاف المجتمع الجزائري، مستفيداً من رحلاته إلى قسنطينة وعنابة ومناطق صحراوية أخرى، مما أتاح له التعمق في فهم البيئة الثقافية والاجتماعية الجزائرية⁴⁵. ومن ثمّ اقترح أفضل السبل لبسط نفوذ الاستعمار وخدمة المصالح الفرنسية.

مكّنّت هذه الملاحظات والدراسات الإدارة الاستعمارية من وضع برنامج سياسي وإداري للتعامل مع السكان، بهدف تفادي الانتفاضات المتكررة، مما أدّى إلى إنشاء المكاتب العربية في 12 فبراير 1844⁴⁶. جاءت هذه المكاتب نتيجة للأبحاث التي أجرتها اللجنة في مجال الإثنوغرافيا، حيث قدّم الباحثون اقتراحات بشأن النظام الضريبي المتبع في الجزائر، مستندين إلى دراسة قام بها بيرون. كما تناولت الأبحاث جوانب المناخ والمعادن

والشروات، بالإضافة إلى مءالات الطب والصءة، ءىث سؤقت مشارىع تظهر ءزائر كمناطق ءنة ولىست مستنقعا للأمراض والموت كما أشىع سابقا.

تمىز نشاط اللءنة بطرء إىدىولوجىة استعمارىة قائمة على تفؤق الرءل الأوروبى، وركزت استراتىءىةا على هدم مقومات الأمة ءزائرىة، مثل الءىن الإسلامى واللغة العربىة. وقد قءم رواء المءرسة الاستعمارىة ومؤرخوها فرضىيات وءءء لمستقبل "ءزائر المستوطنىن". من ءانبها، سعت الإءارة الاستعمارىة إلى إضفاء الطابع الشرعى على الءتلال من ءلال تقءىم الءعم الماىى لتلك الأءءات والءراسات، والإشراف على إنءازها ونشر مؤلفاتها، مما تطلب تءصىص مىزانىيات ضءمة لءلك.

ءءاوز اءتمام أنفائتان المءال الأكاءىمى، إذ ءرس السمات التى قد ءءل ءزائرىىن مؤهلىن لتقبل الاستعمار، وهو ما أشار إلىه المفكر مالك بن نبى بعبارة "القابلىة للاستعمار"⁴⁷. كما اءتم بنظام الملكىة والعاءات والتقالىء والءىن، مقارنة بالأنظمة المماثلة فى الثقافات الأءرى، ساعىا لوضع أسس تءعم الءتلال الفرنسى وفق النموءء السان سىمونى. ظل بروسبىر أنفائتان فى ءزائر ءتى اضطر للوءوءة إلى بارىس سنة 1843 بسبب أزمة صءىة. وقد ءمع أفكاره ءول الءتلال فى مءكرة أرسلها إلى وزىر ءربىة فى 18 فىفرى 1843⁴⁸. مشىرا إلى أنه الشءص الأنسب لتنفىء تلك الأفكار. ءءولت هذه المءكرة لاءقا إلى ءتاب بعنوان استعمار ءزائر La Colonisation de l'Algérie، الذى صدر فى بارىس فى نفس السنة.

بعء نشر هذا ءتاب، أصبح أنفائتان قاءء تىار ءزائر-فرنسىة، ءىث وضع فىه أسس السىاسة الاستعمارىة اللازمة فى ءزائر⁴⁹. بهذا التءؤل، انءقل أنفائتان من ءعوته إلى الوءءة العالمىة والسلام بىن الشءوب إلى التأكىء على ضرورة الاستعمار، ءء مبرر ءمل المءنىة والتنبور إلى الشرق. لاءظ أنفائتان أنّ ءزائر تملك عوامل مؤهلة لنءاء المشروع

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

السان سيموني، الذي يسعى لربط العالم الغربي بالعالم الإسلامي، وتحقيق وحدة فكرية واقتصادية وجغرافية بينهما⁵⁰. وقد صرّح قائلا: "الجزائر هي مكان تجربة هذا التنظيم الجديد الذي نريد تحقيقه هنا، ونعمل جاهدين على تجاوز العقبات التي تعيق مشاريعنا القديمة"⁵¹. من هنا، لعب أنفانتان دورا حيويا في تعزيز الاستيطان الأوروبي تحت السيطرة الفرنسية، من خلال إدماج المجتمع الجزائري في النسيج الأوروبي. سعى لتوجيه الفكر والثقافة من خلال السيطرة على المدارس، وأيضا توجيه الاقتصاد عبر إنشاء القرى الزراعية واستغلال المناجم، عبر تطوير شبكات المواصلات والسكك الحديدية⁵².

كان أنفانتان يرى أنّ الهدف الأسمى للإدارة الفرنسية هو تشجيع استقدام أكبر عدد ممكن من المستعمرين الأوروبيين، معتقدا أنّ نجاح التجربة الاستعمارية في الجزائر يعتمد على ذلك. ومع ذلك، سعى لتبرير التوسع الاستعماري من خلال الادعاء بأنّ هذا التوسع سيؤدي إلى تحقيق مشاريع رأسمالية وتعزيز النمو الاقتصادي⁵³. كما قال: "إنّ استقدام جاليات فلاحية وصناعية وتجارية وفنية وعلمية هو الحلّ الأمثل لبناء الحضارة في الجزائر ونجاح التجربة الاستعمارية"⁵⁴. انخرط أنفانتان في تبرير هذه السياسة الاستيطانية، مقترحا أن يتمّ تمدين السكان الأصليين من خلال اتصّالهم غير المباشر بالمستوطنين، معتبرا أنّ هذا الاتّصال سيكون كافيا لخلق حضارة جديدة ومجتمع حديث في الجزائر⁵⁵.

حمل كتاب أنفانتان تنظيرا لمشكلة الملكية في الجزائر، حيث اعتبر أنّ الملكية هي القاعدة المادية للنمط الاجتماعي⁵⁶. كان يسعى من خلال هذا التنظير إلى إخضاع الأراضي الجزائرية للاحتلال، سواء من خلال تنظيم المهاجرين الأوروبيين أو عبر التحكم في توزيع الأراضي بين الأهالي، معبرا عن عدم رضاه عن السياسة الاستعمارية المتبعة⁵⁷.

اعتبر أنفانتان أنّ المشروع الذي قدّمه في كتابه "استعمار الجزائر" يمثّل رؤية جديدة في مجال التنظير الاستعماري، حيث رأى أنّ مفهوم الملكية يجب أن يتطور ليعكس التغيرات

العالمىة؁ بما فى ذلك فى فرنسا. وهدف هذا التطور؁ كما يقول؁ هو القضاء على الأشكال القدىمة للملكىة. وأضاف: "إنّ طرفنا للتملك فرىء على مستوى الكرة الأرضىة؁ وحقى فى أوروبا؁ وهو مفىء لكل زمان ومكان ولكل شعب؁ وخاصة فرنسا؁ من خلال تحقىق مصالحها عبر السىطرة على العقارات ووسائل الإنتاج"⁵⁸.

رأى أنفانتان أنّ الجزائر تشكل البىئة المثالىة لتطبقى تجاربه؁ حىث اعتبرها "مكان تجرىب هذا التنظيم الءىء الذى نرىء تحقىقه؁ وسنعمل جاهءىن على تحقىق ذلك باستبعاد العقبات"⁵⁹.. ووفقا لرؤىته؁ كان الحفاظ على الجزائر ىستلزم تمكىن الإءارة الفرنسىة من الحكم وتسهىل العمل؁ قائلًا: "ىجب علىنا بءل المستحىل لتأسىس قرى أوروبىة فى الجزائر وإءارتها."⁶⁰.

كانت هذه الإءارة تهدف إلى إنشاء مستوطنات عسكرىة ومءنىة من خلال تغىىر عاءات السكان الملىىن وتعءىل القوانىن الفرنسىة؁ بالإضافة إلى تعزىز مستوى تعلىم الأهالى وتحءىثهم؁ بشرط أن تكون هذه الجهود فى خدمة المشروع الاستعمارى. كما ءعا إلى تأسيس ملكىة فردىة للأراضى الزراعىة لبناء مءتمع أوروبى استىطائى؁ مشءءا على أهملية الهجرة الأوروبىة؁ خاصة من الألمان والإىرلنءىن؁ مع التأكىء على أنّ الاستعمار ىجب أن ىكون فرنسا خالصا. فقد أشار أنفانتان إلى أنّ الجزائر شهدت تأرىخىا تعاقب شعوب مءتلفة مثل الرومان والونءال والعرب؁ الذىن تركوا آثارهم وامتزجوا مع السكان الأصلىن"⁶¹.. وخلص إلى أنّ المستوطنات ىجب أن تكون من الشعوب الأوروبىة؁ مؤكءًا: "إنّ احتلال الجزائر ىجب أن ىكون أوروبىا مسىحىا ولىس فرنسا بءتا؁ شرىطة أن ىتم ذلك تحت السىطرة الفرنسىة"⁶².

اقترح أنفانتان فى كتابه استعمار الجزائر سىاسة التماثل L'Assimilation والقائمة على إءءاء مؤسسات مماثلة للإءارات والمؤسسات الفرنسىة ءون الأخء بعىن الاعتبار

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

اختلاف الخصوصيات السوسيوثقافية التي تنفرد بها الجزائر وإحلال التشريعات الفرنسية محلّ التشريعات المحلية بهدف إبعاد العرب تدريجيا من المناطق التي تدخل تحت السيطرة الفرنسية إذ دعا أنفانتان إلى تحويل مؤسسة الملكية في الجزائر إلى مؤسسة شبيهة بتلك الموجودة في فرنسا، معتبرا أنّ الملكية عند المسلمين في الجزائر هي ملكية جماعية وبالتالي فإنّ العرب ليسوا في حاجة إلى الأرض إلا بالقدر الذي يسمح لهم برعي مواشيهم، ومن ثمّ يمكن للفرنسيين استغلال هذه الأراضي واستثمارها لانجاز المشاريع الصناعية والرأسمالية كان أنفانتان يحاول تبرير الاستعمار الأبدي للجزائر وعدم تراجع فرنسا عن مهمتها التنويرية لإكساب هذه التجربة شرعية أمام الرأي العام في الداخل والخارج، وذلك بهدف اتخاذ الجزائر كمخبر للتجارب على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

كان أنفانتان يسعى إلى تبرير الاستعمار كعملية أبدية، مؤكدا على أن فرنسا يجب أن تظلّ ملتزمة بمهمتها التنويرية. وقد اعتبر الجزائر مختبرا لتجارب اقتصادية واجتماعية وسياسية، قائلا: "إذا أعلنت الحكومة منذ البداية أنّ الجزائر فرنسية، فلا يجب أن تتخلّى عن ذلك... ونحن قادرون على إقناع مواطنينا والدول الغربية بجدوى وجودنا هنا، مما سيعزز الشرعية لاستعمار الجزائر للأبد"⁶³. وأكد أنّ الاستعمار سيساهم في تقدم الإنسانية، ويتيح فرصة لفرنسا لتطبيق تجارب اجتماعية جديدة في شمال إفريقيا.

وضع أنفانتان في كتابه استعمار الجزائر، مجموعة من الضمانات لتشجيع المستوطنين على الانتقال إلى الجزائر، حيث منح كل مستوطن حقّ الحصول على جارية مالية وسكن مجاني ومنحة تقاعد، بالإضافة إلى امتيازات أخرى⁶⁴. وقد تصوّر أنفانتان أنّ القرية المثالية ستكون من 192 عائلة، أي ما يعادل 1000 إلى 1200 شخص، مع إدارة كل مستعمرة تحت إشراف قائد عسكري، يدعمه ضباط وضباط صفّ، بالإضافة إلى مهندس مسؤول عن إدارة المشاريع⁶⁵.

أشار أنفانتان إلى أنّ الملكية في المستوطنات المدنية ستكون جماعية من الناحية الجوهرية، بينما تكون شكلية من حيث المظاهر. وأوكل مهمة تغيير المجتمع ووسائل الإنتاج وعقلية السكان الأصليين للحكومة الفرنسية، مشيراً إلى أهمية هذه الإجراءات في دعم الاستعمار وتحقيق أهدافه. يقول أنفانتان في كتابه استعمار الجزائر: "...ستكون الملكية داخل المستعمرات المدنية جماعية في العمق وشخصية شكلياً وستوكل للحكومة الفرنسية مهمة تغيير المجتمع ووسائل الإنتاج وعقلية السكان الأصليين..."⁶⁶.

وقد دعت كتابات أنفانتان ومقالات الشقّ السان سيموني المنخرط في تبرير الاستعمار عبر الدعوة إلى استخدام الجيوش في بناء المستوطنات وفي استصلاح الأراضي وهذا ما تمّ في عهد الجنرال توماس روبر بيقو⁶⁷. كما شهد الاستيطان تطوّراً كبيراً، بمجيء الجنرال بيقو الذي صرّح في يوم 14 ماي 1840 أمام النواب: "...يجب أن يقيم المستوطنون في كل مكان توجد فيه المياه والأراضي الخصبة، دون الاستفسار عن أصحابها..."⁶⁸. ومن ثمّ أخذ بيقو يشجّع العسكريين الذين أنخوا خدمتهم على الاستقرار في الجزائر، كما عمل على إنشاء المستوطنات كي يعملوا فيها بصفة جماعية، كما أنشأ المزارع حول المعسكرات ليستغلها الجنود. وقد اشتدّت الهجرة الأوربية نحو الجزائر في عهده، ففي سنة 1843 وحدها وصل إلى الموانئ الجزائرية 14 ألف و137 مهاجراً، منهم أكثر من 12.006 من الفرنسيين والباقي من الألمان والأيرلنديين والسويسريين. وبلغ عدد المستوطنات 28 مستوطنة، سنة 1844، في المتيجة والساحل، وفي سنة 1845 وصل إلى الجزائر حوالي 46 ألف مهاجراً أوروبياً. وقد بلغ عدد الأوروبيين المدنيين في الجزائر 215 ألفاً، مما جعل الغزو يتحوّل إلى استعمار مدني واقتصادي بعد الغزو العسكري. وبحلول سنة 1860، أصبح عدد الأوروبيين في الجزائر 155 ألفاً، منهم 215 ألف فرنسي، وقد تمكّنوا جميعاً من امتلاك أفضل الأراضي الزراعية⁶⁹.

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

عملت السلطات الفرنسية على توفير جميع الظروف اللازمة لدعم حركة الاستيطان، وهو ما يتجلى بوضوح في خطابات الحكام العسكريين والمدنيين الذين تولوا إدارة الجزائر. كان تشجيع الأوروبيين على الاستيطان أمرا حيويا للسلطة المحتلة، التي قدّمت لهم كافة الشروط الضرورية للاستقرار على حساب السكان الأصليين. من بين هذه الشروط، تم توفير السكن وضمان رواتب أعلى من تلك المقررة في فرنسا⁷⁰. بالإضافة إلى تشييد المدارس وتعبيد الطرقات ومدّ شبكات السكك الحديدية وتهيئة الجسور.

خلال فترة الجنرال بيكو (1842-1848)، ارتفع عدد المهاجرين الأوروبيين بشكل ملحوظ بلغ حوالي 100,000 شخص، حيث سجل زيادة كبيرة بنسبة (42%) مقارنة بسنة 1839، وكانت الغالبية العظمى منهم فرنسيين (43.5%)، تلاهم الإسبان (28%) والإيطاليون (8%)، مما يدلّ على تنوّع الهجرات⁷¹. كما ساهم إنشاء القرى الجديدة (42 قرية جديدة ما بين 1848 و 1850) وتأسيس الشركات، مثل الشركة الجزائرية التي تأسست سنة 1868 والتي حصلت على 100,000 هكتار من الأراضي، في تسهيل الاستيلاء على الأراضي الخصبة، حيث تم تقديم الأراضي بشروط مغرية مثل دفع مبلغ رمزي مقابل كل هكتار (فرنك واحد لكل هكتار لمدة 50 سنة). مما أدّى إلى إصدار سلسلة من القوانين التي مكّنت المعمرين من الاستيلاء على الأراضي الخصبة بطرق مختلفة.⁷² هذه السياسات لم تعزّز الاستيطان فحسب، بل أدّت أيضا إلى تغييرات كبيرة في التركيبة السكانية والاقتصادية للبلاد، متجاهلة حقوق السكان الأصليين.

وجد السان سيمونيون، كمؤيدين للرأسمالية، في الجزائر بلدا غنيا بمقدراته وثرواته الطبيعية القابلة للاستثمار. لذلك فقد اعتبروا أنّ قدوم عدد أكبر من المعمرين الفرنسيين سيعزّز المشاريع التصنيعية ويزيد من الإنتاجية الاقتصادية. مع تحوّل أفكارهم من السعي لتحقيق الوحدة الإنسانية إلى تبرير الاستعمار، أصبح الاستعمار يُنظر إليه كوسيلة لنشر الحضارة في الشرق.

كان أنفانتان من أبرز الداعين لهذا التوجه، حيث اعتبر أنّ الفرنسيين هم "حاملو مشعل الحداثة" ويجب عليهم نقل المدنية إلى بقية شعوب العالم. وأكد أنّ على فرنسا مسؤولية تحقيق السلام العالمي ونشر التنوير، مُعبّراً عن فكرة أنّ الفرنسيين هم "يونانيو العالم"، أي حاملون للفكر والحضارة، ولديهم واجب نشر هذه القيم في المجتمعات الأخرى. يقول أنفانتان: "...إنّ الفرنسيين على رأس الحضارة الأوروبية حاملين مشعل الحداثة ولا بدّ لهم من حمل المدنية إلى بقية شعوب العالم.... تقع على فرنسا المبادرة بتحقيق السلام العالمي... نحن يونانيو العالم وتقع علينا مهمة نشر التنوير في العالم..."⁷³.

حاول أنفانتان دعم الاستعمار الرأسمالي الفرنسي عبر تنفيذ مشاريع كبرى تهدف إلى مضاعفة الأرباح. ورغم ذلك، انتقد في كتابه استعمار الجزائر التكاليف المادية الباهظة للاحتلال، مشيراً إلى النقاشات المستمرة حول جدوى هذا الاستعمار. قائلاً في أوّل الكتاب: "...منذ سنوات ونحن نتناقش حول الجدوى من احتلال الجزائر على أعمدة الصحف وداخل مختلف الأحزاب وفي المراسلات الدبلوماسية ولكن لا بدّ من التأكيد أنّ تجربة استعمار الجزائر كلّفت الأمة مبالغ طائلة وأسالت دماء عدد كبير من أبنائها ولكنني أعتقد أنّ الأهم هو أن نبحث في السبل الكفيلة بجعل هذه الحملة مربحة ومنتجة وبأقلّ التكاليف المادية والبشرية..."⁷⁴. واقترح أن تُوكل الأراضي الزراعية للسلطات الاستعمارية، وتحويل الأهالي إلى عمال يتقاضون جزءاً من العائدات من خلال استثمارات رأسمالية. ومع ذلك، كانت حصة الأهالي في الإنتاج ضئيلة، مما يعكس طبيعة غط الإنتاج الذي ظلّ نظاماً فيودالياً استغلالياً.

الخاتمة

لا يمكن إنكار حقيقة تورط السان سيمونيين في المشروع الاستعماري كما لا يمكن إنكار تواطؤ الأب بروسبير أنفانتان الذي حاول أن يبرّر استعمار الجزائر بنظرية عنصرية

إيديولوجية التحديث السان سيمونية وتأثيرها على السياسات الاستعمارية في الجزائر

تقرّر بعدم تساوي الأعراق جاعلا من واجب البلدان الأكثر حضارة قيادة الأمم الأقل تنوّرا نحو التمدّن والحضارة. وفي الواقع لم تكن هذه التوجهات الجديدة لتتوافق مع أفكار المذهب السان سيموني، الذي طالما دعا إلى توحيد شعوب العالم وإحلال السلام لاستثمار مقدرات الكون وتحقيق العدالة الاجتماعية والوحدة الكونية، فقد عبّرت هذه التوجهات عن تطوّر التيار الليبرالي داخل المدرسة السان سيمونية وانخراطه في تبرير السياسة الاستعمارية وإضفاء شرعية عليها وقد أدّت السياسات الاستعمارية التي دعمها أنفانتان إلى زيادة مشاعر المقاومة الوطنية بين الجزائريين. فمع تزايد الاستياء من الإجراءات الاستعمارية، بدأ الشعب الجزائري في تنظيم حركات مقاومة ضدّ الاستعمار الفرنسي.

رغم الدعم الذي قدّمه الشقّ الليبرالي من السان سيمونيين للاستعمار، فقد حافظ شقّ اليسار على الطابع الاشتراكي الإنساني الذي وسم المدرسة في بداياتها، حيث دعا إلى مشاريع الوحدة العالمية وإحلال السلام والمساواة بين الأعراق⁷⁵. كان إسماعيل إيربان (1812-1884) من أبرز هؤلاء، حيث تمسّك بفكرة الوحدة الإنسانية وأبدى معارضته لمشاريع الاستعمار القائم على الاستحواذ على الأراضي الجزائرية⁷⁶. فقد انتقد إيربان أفكار ميشال شوفالييه التي كانت تخلط بين تجارب الاستعمار في أمريكا وأفريقيا، مشيرا إلى أنّ العرب في الجزائر لن يتخلّوا عن أراضيهم كما فعل الهنود في أمريكا⁷⁷. وأكد أنّ المناخ والموارد في الجزائر لا تسمح بتوطين عدد كبير من الأوروبيين، مما يتطلّب التركيز على الاستثمارات الصناعية بدلا من إرساء دعائم الاستعمار الزراعي⁷⁸. وقد نجح إيربان في إقناع الإمبراطور نابليون الثالث أنّ الجزائر لا يجب أن تسلّم للمستوطنين، وأنّ من واجب فرنسا الأول هو الاهتمام بسعادة ثلاثة ملايين عربي. كان هذا بمثابة بداية تغيير جذري في السياسة، حيث صدر في 26 نوفمبر 1860 مرسوم يلغي وزارة الجزائر، على مضض من المستوطنين⁷⁹.

ولكنّ هذه الأفكار ظلّت بعيدة عن التحقيق، في ظلّ هيمنة السياسة الاستعمارية القائمة على الاستيطان والتنظير لفكرة الجزائر فرنسية. فقد دافع بروسبير أنفانتان عن هذا المشروع بعد أن تخلّى عن المقولات الاشتراكية للمدرسة السان سيمونية، وشرع في إدارة المشاريع الرأسمالية التي تبرز الاستعمار. لذلك يمكننا الإقرار أنّ نجاح هذا التيّار في فرض سياسة استعمارية قد ساهم في تكوين صورة سلبية وخطيرة عن المدرسة السان سيمونية.

الهوامش:

¹ بروسبير أنفانتان (1796-1864) هو شخصية مهمة في الفكر الاجتماعي والسياسي الفرنسي خلال القرن التاسع عشر. وُلد في عائلة أرستقراطية، مما أتاح له فرصة التعليم في معهد نابليون، حيث درس الرياضيات تحت إشراف أوليند رودريغيز، الذي كان له دور بارز في توجيه اهتماماته الفكرية. في سنة 1824، شارك أنفانتان في قراءة كتاب "المسيحية الجديدة" لسان سيمون، الذي ترك أثراً عميقاً عليه. إذ وجد في أفكار سان سيمون إطاراً لتحقيق تنظيم اجتماعي أفضل، مما دفعه لاستكشاف موضوعات الإصلاح الاجتماعي. بعد التحاقه بالمدرسة الهندسية في باريس، انقطع عن دراسته للانخراط في الجيش، حيث اكتسب شهرة في الأوساط الطلابية بفضل نشاطه في المظاهرات المناهضة للهيمنة العثمانية على اليونان. بعد انتهاء الحرب، ترك أنفانتان الجيش وكرّس جهوده للقضايا الاقتصادية والسياسية، وأصبح من قادة الحركة السان سيمونية بعد وفاة سان سيمون. دعا إلى السلام العالمي من خلال مشاريع إنسانية، مؤمناً بأهمية التنظيم الاجتماعي لتحقيق العدالة. لا تزال أفكاره تُدرس حتى اليوم في سياق الفلسفة الاجتماعية، وقد تركت تأثيراً ملحوظاً على الحركات الاجتماعية والسياسية اللاحقة.

² Philippe Régner, Les saints simoniens en Égypte, (1833-1851), Le Caire, Amin Abdelnour, 1989, pp.59-60.

³ Mustapha Lacheraf, L'Algérie nation et société, Paris, Maspero, 1965, p.131.

⁴ راجع: نادية الرياحي، السان سيمونية في الجزائر بين الرسالة التبشيرية والإيديولوجيا الاستعمارية، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 143، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2011، ص.ص. 333-356.

⁵ Raymond Ruyer, L'Utopie et les utopistes, Paris, PUF, 1950, p. 229

⁶ ميشال شوفالييه (1806-1879) كان اقتصاديا وسياسيا بارزا، يُعتبر أحد أهم زعماء المدرسة السان سيمونية. أسهمت أفكاره في تطوير الفكر الاجتماعي والاقتصادي في القرن التاسع عشر.

⁷ Sébastien Charlety, Histoire du saint-simonisme (1825-1864), Paris, Editions Gonthier, 1931, p.253.

⁸ Ibid, p. 252.

⁹ راجع: نادية الرياحي، جذور العولمة في الفكر الحديث من خلال السان سيمونية، تونس، مركز النشر الجامعي، 2015.

¹⁰ Sébastien Charlety, Op.cit, p.219.

¹¹ Henri René D'Allemagne, Les saints- simoniens, 1827-1837, Grund, Paris, 1930, p.119

¹² Ibid, p. 121.

¹³ Le Globe, Journal philosophique et littéraire, puis Journal de la doctrine de Saint-Simon, puis Journal de la religion Saint- simonienne, Paris, au bureau du Globe, 15 décembre 1831-20 avril 1832, 16 janvier 1832.

¹⁴ Le Globe, 5 février 1832.

¹⁵ Le Globe, le 16 janvier 1832.

¹⁶ نادية الرياحي، جذور العولمة في الفكر الحديث من خلال السان سيمونية، مرجع سابق، ص. 284.

¹⁷ Yver Georges, Enfantin et l'émigration étrangère en Algérie, in Revue Africaine, Volume 59, 1918, p. 258.

¹⁸ راجع: نادية الرياحي، جذور العولمة في الفكر الحديث من خلال السان سيمونية، مرجع سابق.

¹⁹ Jacques Frémeaux, La France et l'Algérie en guerre (1830-1870), Paris, Economica, 2002, p.42.

²⁰ Ibid, p.17.3

²¹ Citée dans Benjamin Stora, Histoire de l'Algérie coloniale : 1830-1954, Paris, la Découverte, 2006, pp.121-122.

²² Ibid, p. 66.

²³ Michel Reuillard, Les Saint-simoniens et la tentation coloniale, Paris, L'Harmattan, 2002, p. 52.

²⁴ Sebastian Charlety, Op.cit, p. 252.

²⁵ Daniel Guiliod, Les figures de l'organisation, sciences de la vie et sciences sociales au 19ème siècle, Paris, PUF, 2003, p.175.

²⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، دار البصائر، 2009، الجزء السادس، ص.

438.

²⁷ Lettre de Lamoricière à West, 10 janvier 1832, Arsenal 7609, fasc. 49, citée dans Henry René D'Allemagne, Op.cit. p.479.

²⁸ Michel Reuillard, Op.cit., p. 108.

²⁹ Marcel Emerit, Op.cit., p. 155.

³⁰ Ibid, p.25.

³¹ Ibid, p. 162.

³² Michel Reuillard, Op.cit., pp.112-1113.

³³ Prosper Enfantin, Colonisation de l'Algérie, Paris, Librairie Pierre Bertrand, 1843, p.370.

³⁴ مصطفى عبيد، الفكر الاستعماري السان سيموني في مصر والجزائر، 1833-187، الجزائر،

دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2013، ص. 46-47.

³⁵ أحميدة عميراي، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858،

الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، 2004، ص. 62.

³⁶ Cordier E.-H. Napoléon III et l'Algérie, ancienne imprimerie, V. Heintz, Alger, 1937, p. 215

³⁷ أحميدة عميراي، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة 1838-1858،

مرجع سابق، ص. 65.

³⁸ تضمّنت اللجنة العلمية الاستكشافية 21 عضواً، من بينهم 10 عسكريين و 11 مدنياً، 0 قبل

انطلاق البعثة في 20 نوفمبر، وقد توسعت اللجنة لتصبح 24 عضواً، حيث عُيّن رينو (Renou)

ورافوازي (Ravoisier) كعضوين دائمين. كما تمّ تعيين النقيب دولامار (Delamare) كملحق

للبحث في مجال الآثار، وغيشنوت (Guichenote) في اختصاص التاريخ الطبيعي، وبيري

(Perrier) كطبيب جراح. عُيّن أيضاً إيربان (Urbain) وشيسباو (Schousboe) كمتّرجمين،

واختارت أكاديمية الآداب والفنون ليون فودواي (Voudoyer) في مجال الهندسة المعمارية، وبيربروجر

(Berbrugger) كمحافظ مكتبة الجزائر في مجال الآثار. كما عُيّن بول بريار (Priour) كمنسق مالي

عسكري لإقليم وهران. وقد أدرجت وزارة الحربية كذلك ضابطي المدفعية برينال (Brunel) وبويون

بوب لاي (Bob Laye) والنقيب كازيمير كاي (Kay)، وهو لاجئ بولوني يتقن العربية. بالإضافة

إلى ذلك، كان المستشرق أونوري دي لا بورت (De Laporte) يساهم بأبحاث حول قرطاج، والرائد ميشال كاريت (Carette) مكلفاً بدراسة أصول اللغة والإثنيات داخل الجزائر. كما كُلف بروسبير أونفونتان بالأنثوغرافيا والتاريخ والتقاليد الجزائرية.

وحدّد تاريخ 20 نوفمبر 1839 موعداً لانطلاق الرحلة من ميناء طولون، بحيث تشمل جميع أفراد الطاقم، بما في ذلك الأشخاص الموجودين في الجزائر أثناء الخدمة. وكان رئيس اللجنة العقيد بوري دي سان فانسان (De Sainte Vincent)، باحث مختص في علم النبات والحيوان، والذي ترأس سابقاً اللجنة العلمية في موريا باليونان، قد حمل رسالة من وزير الحربية إلى الماريشال فالبي، يطلب فيها تأمين البعثة ودعم طاقمها.

³⁹ Jean Pierre Alem, *Enfantin : le prophète aux sept visages*, Paris, Jean Jacques Pauvert, 1963, p.126.

⁴⁰ Benjamin Stora, *Op.cit.*, p. 221.

⁴¹ *Ibid*, p. 223.

⁴² René Galissot, *La république française et les indigènes : Algérie colonisée, Algérie algérienne 1870-1962*, Paris, Editions de l'Atelier, 2007, p. 48.

⁴³ *Ibid*, p.50.

⁴⁴ *Ibid*, p. 161.

⁴⁵ *Ibid*, p. 162

⁴⁶ JACQUES FREMEAUX, **LES BUREAUX ARABES DANS L'ALGERIE DE LA CONQUETE**, PARIS, DENOËL, «L'AVENTURE COLONIALE DE LA FRANCE», 1993.

⁴⁷ راجع: مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1986.

⁴⁸ مصطفى عبيد، الفكر الاستعماري السان سيموني في مصر والجزائر، مرجع سابق، ص. 43.

⁴⁹ René Galissot, *Op.cit.*, p.128.

⁵⁰ أمينة عميراي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص. 123.

⁵¹ Prosper Enfantin, *Op.cit.*, p.116-117.

⁵² أمينة عميراي، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص. 65

⁵³ Michel Reuillard, *Op.cit.*, p.100.

⁵⁴ Prosper Enfantin, *Op.cit.*, p. 12.

⁵⁵ Marcel Emerit, *Op.cit.*, p. 122.

⁵⁶ Prosper Enfantin, Op.cit., p. 43.

⁵⁷ Ibid., p. 75.

⁵⁸ Ibid., p. 109-110.

⁵⁹ Ibid, p.116-117.

⁶⁰ Ibid, p.133.

⁶¹ Ibid, p.199-206.

⁶² Ibid, p370.

⁶³ Ibid, p.107.

⁶⁴ Marcel Emerit, Op.cit, p.109.

⁶⁵ Ibid, p. 115.

⁶⁶ Prosper Enfantin, Op.cit., p. 160.

⁶⁷ Benjamin Stora, Op.cit. p. 221.

⁶⁸ Citée dans Benjamin Stora, Op.cit., p.171.

⁶⁹ عبد الله شريط ومحمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط 2، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر،

1965، ص. 127.

⁷⁰ Ibid, p.79.

⁷¹ Ibid, p. 81.

⁷² Jacques Frémeaux, La France et l'Algérie en guerre (1830-1870), Op.cit., p.128.

⁷³ Prosper Enfantin, Op.cit, p. 16.

⁷⁴ Ibid, pp. 8-9.

⁷⁵ Ismail Urbain, L'Algérie pour les algériens (1861), réédition par Michel Levallois, Paris, Séguier Atlantica, 2002.

⁷⁶ Michel Levallois, Ismayl Urbain (1812-1884), une autre conquête de l'Algérie, Paris, Maisonneuve, 2001, p. 24.

⁷⁷ نادية الرياحي، توماس إسماعيل إيربان من السان سيمونية إلى الاسلام، نحو بلورة نظرية في الفكر

السياسي الاقتصادي بالجزائر 1837-1870، ضمن كتاب الشأن الديني والشأن السياسي في

المجتمعات الإسلامية، تونس، الدار التونسية للكتاب، 2023.

⁷⁸ Lettre d'Ismail Urbain à Lacroix, le 4 mars 1862, Arsenal 7612, fasc. 78, citée dans Marcel Emerit, Op.cit, p. 389.

⁷⁹ شارل روبر أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط 1، منشورات عويدات،

بيروت، 1982، ص. 57.